

# الكتاب الديني في العالم العربي يعيش خريفه

## تكرار الأفكار والتشدد وراء تراجع المبيعات وإغلاق دور النشر الدينية



### الكتب الدينية المكررة ما عادت تستهوي القراء

بمقابلة منافذ بيع مباشرة للكتب الدينية وكتب التراث، فضلا عن كتب السلفية المتشددة. ويحكي الأديب المصري يحيى مختار، والذي عمل في مجال توزيع الكتب طوال حقبة السبعينات والثمانينات في مصر، كيف كان الكتاب الديني محل إقبال غير عادي من الجمهور في تلك الحقبة تزامنا مع ما عرف بتصاعد المد الديني في المجتمعات العربية وعلى رأسها المجتمع المصري.

ويذكر مختار أنه يتذكر كيف كانت مؤسسات الكتب الرسمية تتسابق لنشر وتوزيع الكتب الدينية خلال تلك الفترة وعلى رأسها كتب الداعية الراحل محمد متولي الشعراوي التي كانت تحقق مبيعات خيالية. ويتابع قائلا "بعض أحاديث الشيخ التلفزيونية كان يتم تدوينها، ثم تتم بعد ذلك طباعتها في كتب وبيعها للجماهير، وفي بعض المرات تجاوزت مبيعات الكتاب الواحد مئة ألف نسخة خلال شهور قليلة".

بدأ تطبيقها في ساحات النشر ساهمت في تصحيح مسار النشر الديني وأدت إلى تنظيغ أسواق الكتب وعدم السماح لمطابع مجهولة وكيانات غير رسمية بنشر كتب دينية ذات توجهات غريبة تخالف إجماع المؤسسات الدينية الرسمية وتبني خطابا متشددا. وتلزم بعض هيئات الكتب في العالم العربي دور النشر بإيداع نسخ من الكتب المرزم إصدارها لديها مع تقديم إفادات تؤكد خلوها من أي أفكار تحريض على العنف.

ويتصور البعض من المثقفين أن أسفول لمعان الكتاب الديني صار أمرا طبيعيا مع تراجع تأثير التيار الديني في الكثير من البلدان العربية، خاصة مصر بعد ثورة 30 يونيو 2013، وما تبعها من نفور عام من أفكار وأدبيات ومطبوعات التيار الديني التي كان يروج لها. وبلغت هؤلاء إلى أن هزيمته التيار الديني سياسيا واجتماعيا أدت إلى فقدانها أهم مراكز تأثيره وهي المساجد ومحيطاتها، حيث كانت تلك الأماكن

الشباب، والذي يُعزل الشريحة الأكبر من القراء في الدول العربية. ويشير رياض إلى أن تيارات الإسلام السياسي بشكل خاص عملت على مدى عقود طويلة على نشر أدبياتها وتصوراتها الدينية المغفمة بالتطرف ومناهضة المدنية من خلال كتب بعينها، ولم تعد هذه الكتب مُنقّعة للأجيال الأحدث التي صارت أكثر اطلاعا. ويمكن القول إن مطابخ الفكر الديني العربي لم تُخرج على مدى أكثر من عقدين من الزمان مفكرين ورجال دين مستنيرين لديهم شعبية لدى الجمهور، وقادريين على تقديم حلول ما، ولو شكلية، لمعضلات الحياة المعاصرة، ما أدى إلى عدم أكتراث الأجيال الجديدة بالكتب الدينية بالمرّة.

### تقييد إجرائي

هناك تصور آخر مفاده أن الشروط المفروضة من جانب بعض الحكومات العربية على طباعة الكتب الدينية التي

كبير لتركيز الشراء على الكتب الجديدة الأكثر تميزا، والقادرة على صناعة قدر غير من الدهشة، أو التي تقوم بطرح أفكار لم يسبق طرحها من قبل، وهو ما لا يتحقق في الكتب الدينية. واعتبر هؤلاء أنه من المنطقي في ظل خطاب ديني سائد يعتبر أن شر الأمور محدثتها، وكل جديد يُعزل بدعة، وهو ما يُعد مرذولا بشكل ما.

ويوضح الشاعر المصري محمد رياض لـ"العرب" أن أجيال الثقافة الحديثة تختلف عن باقي الأجيال في جرأة مقاومتها للشائع والسائد من خطابات تكرار الأفكار والطروحات دون تحديث، ما دفعها للصدام الفكري مع ما يُمكن تسميته بالفكر الديني المعاصر. وما شهدته بعض الأقطار العربية من اضطرابات وتحولات سياسية واجتماعية حادة وصل إلى حد الفوضى والحرب الأهلية في بعض الأحيان نتيجة صعود التيارات الدينية، ساهم في شيوع نظرة شديدة السلبية تجاه كافة الكتب الدينية بشكل عام لدى جيل

طال الكساد المتصاعد في سوق الكتاب العربي الكُتب الدينية وكتب التراث المعروفة، حيث شهدت مبيعاتها الفترة الماضية تراجعا واضحا، وهو ما دفع مؤسسات ودور نشر كبيرة إلى تحجيم مطبوعاتها من تلك الكتب التي لم تعد تلقى الرواج الذي كانت تلقاه سابقا لأسباب عديدة.

### مصطفى عبيد كاتب مصري



ووضعت بعض دور النشر العامة جداول لأولويات الطباعة والنشر لديها خلال الفترة المقبلة، وأبرزت تغيراتها إخراج الكتب التي تتناول موضوعات دينية من قوائم الكتب ذات الأولوية. ويؤكد أصحاب دور نشر أن تراجع مبيعات الكتب الدينية لم يحدث نتيجة انتشار كورونا وما تبع ذلك من تباطؤ ملحوظ في سوق الكتاب فقط، بل توجد عوامل أخرى عديدة ساهمت في انكسار جمهور القراءة بعيدا عن الكتاب الديني. ويدلل هؤلاء على تصورهم بأنه مع التسليم بوجود تأثير بالغ لمبيعات الكتب بشكل عام منذ ظهور وباء كورونا المستجد مطلع العام الماضي، إلا أن هناك كتباً فكرية متنوعة وروايات وكتابات أدبية حققت رواجا كبيرا في الأسواق، ما بدأ وكأنه خصم من حصص الكتاب الديني في الأسواق. ويشرح رضا عوض مدير دار "رؤية" للنشر بالقاهرة الأمر بأن تراجع الإقبال على الكتاب الديني في معظم البلدان العربية جاء نتيجة إلغاء وتجميد الكثير من المعارض العربية الكبرى.

ويقول في تصريح خاص لـ"العرب" إن جانباً كبيراً من مبيعات الكتب الدينية كان يتم خلال معارض الكتاب المعروفة في العواصم العربية مثل معرض القاهرة الدولي للكتاب والشارقة والعمارة والرياض.

ويضيف أن قطاعا كبيرا من ناشري الكتب الدينية كانوا يستغلون فعاليات هذه المعارض في استهداف الجمهور العام والبيع بصورة مباشرة، وهي طريقة تتناسب مع كتب قديمة لا تحتاج لحفلات توقيع أو ندوات مناقشة مثلما هو الأمر في باقي مجالات الثقافة.

ويشير إلى أن ما يتم بيعه من الكتب الدينية لا يتعدى الكتب التقليدية التي يمكن للجميع طباعتها وبيعها باعتبارها متاحة للجميع، لا حقوق نشر لها، والتي يُطلق عليها كتب التراث. وتتبارى بعض دور النشر ذات التوجهات السلفية في تقديم طبعات متنوعة ومتفاوتة الجودة والأسعار، وطرحها تحت تصور ضمان وجود طلب دائم عليها، وهو ما اختلف بشكل واضح خلال الشهور الماضية. ويرى البعض أن الانكماش الاقتصادي الناتج عن الجائحة دفع جمهور القراءة في العالم العربي بشكل

يقول مثقفون إن أحد أسباب تراجع مبيعات الكتب الدينية والإقبال عليها، تراجع حيوية تيار الإسلام السياسي في المشهد العام في بعض الدول العربية، وهو ما انعكس سلبا على توزيع هذه الكتب. فقد كانت ذروة الزخم الذي شهدته وقت صعود جماعة الإخوان المسلمين للحكم في مصر. ويذكر موزع كتب دينية في القاهرة، لـ"العرب"، أن هناك كتباً دينية معروفة ومتداولة في السوق المصري كانت مبيعات كل منها السنوية تتجاوز عشرة آلاف نسخة، مثل "رياض الصالحين" للإمام النووي و"تحفة العروس" لمحمود الإستانبولي و"قفروا إلى الله" لأبي ذر القلموني، فضلا عن مختصرات صحيحة البخاري ومسلم وغيرها، لكن مبيعاتها تراجعت إلى بضعة مئات من النسخ خلال 2020.

### تراجع كبير

يلاحظ ناشرون عرب انخفاض الطلب من جمهور القراءة على الكتاب الديني في الأونة الأخيرة بصورة تتجاوز التراجع الحادث في الكتب الأدبية والفكرية ومجالات الثقافة الأخرى. وتكشف مصادر بسوق النشر أن عددا من دور النشر المتخصصة في طباعة الكتب الدينية في القاهرة والخرطوم أغلقت طوعيا خلال الأسابيع الأخيرة تائرا بهبوط الطلب على كتبها.

### تراجع الإقبال على الكتاب الديني في معظم البلدان العربية جاء نتيجة إلغاء المعارض وتكلس الأفكار وتراجع التشدد

ويعد بعض أصحاب دور النشر لدراسة السوق ويحث إمكانية النشر في مجالات أخرى تشمل كتب الأطفال والتنمية البشرية لتعويض التراجع في مبيعات الكتب الدينية.

## الشعر والفلسفة.. لا غنى لأحدهما عن الآخر

الساعي إلى التحول في علاقة بالإنسان، ضدا على هذا الخراب الهائل الذي يمتد على سماء عالمنا اليوم.



ندوة الشعر بمرآكش (مركز الفكر والثقافة) نظمت دار الشعر بمرآكش (مركز الفكر والثقافة) ندوة الشعر والفلسفة

وتعتبر ندوة دار الشعر بمرآكش محطة جديدة ضمن استراتيجية الدار للمساعة والتحصين التقني، وهي محطة ستواصل مستقبلا بالمزيد من الانفتاح والمقاربات سعيا للإصناف البليغ لنخب النصوص ولجغرافيات شعرنا المعاصر اليوم وللاقترب أكثر من نبض أسئلة النقد الشعري وقضاياها المحورية.

إنسانية ظلت تقاوم الترددي وتنتصر لقيمته الإبداعية. وهذا ما يشكل تحديا مضاعفا للتفكير في الدور الوظيفي للشاعر في حيوات الأفراد والمجتمعات على مختلف مرجعياتها واختلافها.

وعلاقة الشعر بالفلسفة كما يتبين ليست جديدة، ولنا مثلا في أبي العلاء المعري ولزومياته أبرز مثال على قدرة الشعر على الالتحام بالفكر وقدرة الفكر على أن يتحول إلى خطاب شعري جمالي، وكما هو الحال أيضا مع قصائد المتنبي في أبياتها الحكيمية التي توارثتها أجيال فأخرى.

لكن تبقى العلاقة بين الشعر والفلسفة إشكالية رغم أهميتها ومحوريتها في صياغة خطاب فني متكامل ومتناسق ومنفتح عابر لأبنته. وهناك من الشعراء من التجأ إلى الفلسفة فغلب الفكري على الجمالي في خطابه، وبالتالي كانت نصوصه باردة لم تنجح في أن تتحول إلى عوالم شعرية مثيرة، وهنا نتبين مصاعب الدمج بين العالمين، عالم الفكر وبلغته الجافة وعالم الشعر وثرائه اللغوي وقدراته التصويرية والتخييلية، إن يتطلب الأمر مهارة شعرية وتمتلا دقيقا للإفكار.

وقد سبق لشيلي أن تحدث عن الشعر كـ"آلية للتغيير الثقافي وللتأثير في القيم والمعايير الاجتماعية"، وبهذا المنظر الذي ينتصر لضرورة الشعر، تنتج فكرة محورية أساسية: قدرة الشاعر اليوم على بلورة أفقه الإبداعي

في هذه الخاصية الشعرية، وهو ما يجعل من الانفتاح، كل منهما على الآخر، قدرة خلاقية على بناء نص شعري مسوغ بالمعرفة وبتفكير فلسفي معني بأسئلة الوجود. وتعتبر الندوة لحظة معرفية للتفكير في حاجتنا للشعر والفلسفة، كحاجة

ترتبط بالجدّة في إثارة موضوعاته، يحكم أنه ظل يبدن العديد من المناظرات والأبحاث والكتابات، يرى منظمو الندوة



الشعر والفلسفة عالمان متكاملان (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

سمات ممكنة وليست محددة بين الخطابين الشعري والفلسفي. ونظرا إلى أن هذا الاستقراء ليس لحظيا ولا

مراكش (المغرب) - تنظم دار الشعر بمرآكش، ضمن سلسلة "ندوات" الخاصة ببرمجتها للموسم الرابع والتي تستضيء الخطاب الشعري، ندوة بعنوان "الشعر والفلسفة: حوارية الجوار"، والتي تعرف مشاركة النقاد والباحثين المغاربة إربيس كثير وعبدالصمد الكباص والطالبة الباحثة فاطمة الزهراء وراج (في تقليد تحافظ عليه برمجة الدار) للحوار والنقاش واستقصاء سمات هذا الحوار الدائم المفتوح بين الشعر والفلسفة.

ويحتضن مقر دار الشعر بمرآكش في المركز الثقافي الداوديات فعاليات هذه الندوة العلمية مساء الجمعة 26 فبراير الجاري، فيما سيتم بث تفاصيل هذه الندوة على منصات التواصل الاجتماعي للدار عبر قناة دار الشعر بمرآكش (يوتيوب) وبصفحتها على الفيسبوك ليلة الأحد 28 فبراير 2021.

وتواصل دار الشعر بمرآكش من خلال هذه الندوة استقصاء الخطاب الشعري استكمالا لسلسلة الندوات التي برمجتها الدار خلال مواسمها السابقة: الشعر والترجمة، الشعر وأسئلة الهوية، مسرحية القصيدة، الدرس الافتتاحي "الشعر والمشارك الإنساني"، "الشعر وأسئلة التلقي"، "الشعر وأسئلة التوثيق والرقمنة"، "النقد الشعري في المغرب"، و"وظيفة الشاعر اليوم" وغيرها. وتسعى ندوة "الشعر والفلسفة: حوارية الجوار" إلى الوصول إلى